مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيـجي
Orouba Center for Research and Strategic Thinking

التحركات الحدودية في قطاع غزة
(تفعيل مخيمات العودة)

قراءة في الدوافع والنتائج

التحركات الحدودية في قطاع غزة
(تفعيل مخيمات العودة)

شكَّلَ البيانُ المقتضَبُ الصادرُ عن الهيئة العليا لمسيرات العودة وكسر الحصار في 30 آب/أغسطس، الذي أعلَن عن إعادة تجهيزِ وتأهيل مخيمات العودة على الحدود الشرقية لقطاع غزة، المدخلَ الرئيسَ لعودة التحركات على الحدود في خلال الأسابيع اللاحقة، حاملًا معه العديد من التساؤلات حول طبيعة ما يجري والأهداف والدوافع من وراء إعادة التلويح بورقة مسِيرات العودة.

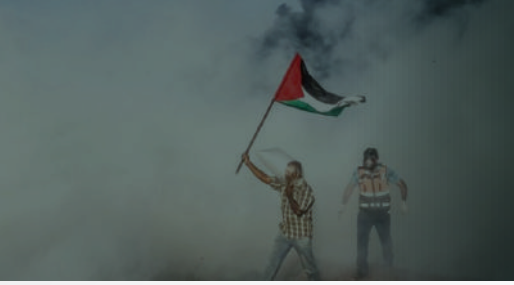

التحركات الحدودية في قطاع غزة
(تفعيل مخيمات العودة)

تسلسل الأحداث

اشتعلت نقاط التَّماس على الحدود الشرقية للقطاع على مدار أسابيع بمواجهات خاضها "الشباب الثائر"[1] الذين كانت أعدادهم بالعشرات في كل مخيم من مخيمات العودة، استُخدِمَت في خلالها "الأدوات الخشنة"[2] بتسارُع كبير، وشملت قص السلك والإرباك الليلي والبالونات الحارقة، وصولًا إلى استخدام العبوات الناسفة، وإطلاق الرصاص من مسدسات، "وفقًا لاتهام الاحتلال".

على مدار أكثر من أسبوعَين استمرت الفعاليات يوميًّا على الحدود، استَخدَم الاحتلال في قمعها شتى الأدوات في قمع الشبان المتظاهرين، بدءًا من الغاز المسيل للدموع، مرورًا بالرصاص الحي، وصولًا إلى قصف مراصد للمقاومة في محيط مخيمات العودة المذكورة، إضافة إلى إغلاق حاجز "إيرز" الاحتلالي ومنع العمال من التدفق عبره إلى الأراضي المحتلة.
وقد توقفت الفعاليات بإعلان "الشباب الثائر" تعليقَ التحركات على الحدود و"مراقبة سلوك الاحتلال"، في الوقت الذي أعلنت فيه مصادر صحفية متعددة عن نجاح "الوسطاء" في الوصول إلى تفاهمات، والإعلان عن إعادة فتح المعابر.

لم يَصدر عن حركة "حماس"، التي كان من الواضح أنها المُحرِّك الرئيس للتحركات الحدودية، أيُّ تصريح علني يَحمل مَطالِب أو توضيحًا للغايات من خلف التحركات، باستثناء تصريحات عامة لقيادات في الحركة حول كون الفعاليات جزءًا من التحركات الغاضبة ردًّا على الانتهاكات بحق المسجد الأقصى والأسرى، وعدد من العناوين الوطنية العامة.

1 مسمى أُطلِق على المجموعات التي نشطت في استخدام أدوات الاشتباك الشعبي التي رافقت مسِيرات العودة

2 مصطلح أُطلِق على أدوات الاشتباك الشعبي التي دُشِّنت في مسِيرات العودة، مثل قص السلك، والإرباك الليلي واستخدام العبوات محلية الصنع، والبالونات الحارقة والمتفجرة

الفوارق عن مسِيرات العودة

لا يمكن عَدُّ ما جرى على حدود قطاع غزة في خلال الأسابيع المذكورة عودةً لمسِيرات العودة، فعلى الرغم من أن إعلان تأهيل المخيمات صَدرَ باسم الهيئة العليا لمسِيرات العودة وكسر الحصار، فإن ثمة فوارق عديدة ما بين المسِيرات التي انطلقت في العام 2018، والشكل الحالي من التحركات على الحدود.

اتسمت مسِيرات العودة الكبرى التي انطلقت في يوم الأرض 30 آذار/مارس من العام 2018 بالعديد من السمات، كان أبرزها الحشد الجماهيري الكبير جدًّا والمتزامن في مخيمات العودة الخمسة الممتدة على طول حدود القطاع، إضافة إلى كون عنوان المسِيرات في وقت انطلاقها موضعًا للإجماع الوطني الذي تمثَّل بعضوية الهيئة العليا لمسِيرات العودة وكسر الحصار المُشكَّلة من كل ألوان الطيف الفلسطيني والمؤسسات والفعاليات (على الأقل في المرحلة الأولى من المسِيرات)، وقد تميزت المسِيرات في حينه بتنوع فعالياتها وعناوينها في كل أسبوع، شاملةً العديد من الأنشطة ذات الطابع السلمي والفلوكوري والثقافي، إلى جانب المواجَهة الشعبية المباشرة مع جيش الاحتلال.

في المقابل، كان ما جرى على حدود قطاع غزة حديثًا تحركًا لعشرات الشبان دون دعوة رسمية من الهيئة العليا لمسِيرات العودة، ودون حشد جماهيري واسع، ويوميًّا، واقتصرت التحركات على المواجَهة الشعبية المباشرة مع جيش الاحتلال، والاستخدام المتصاعد لـ"الأدوات الخشنة" وصولًا إلى بعض حوادث إطلاق الرصاص من مسدسات على دوريات جيش الاحتلال، فيما لم تُشكِّل التحركات عنوانًا للإجماع الوطني، إذ أعلَن بعض مكونات الهيئة العليا لمسِيرات العودة عدم اطلاعهم أو معرفتهم بما يجري، وعدم مشاورتهم بأي قرار حول تأهيل المخيمات أو عودة النشاط إليها، بينما فضلت مكونات أخرى الصمت وعَدَّ ما يجري جزءًا من الحق العام في المواجَهة والاشتباك مع الاحتلال، دون عَدِّه عودةً لمسِيرات العودة.

دوافع حركة "حماس"

على الرغم من أن "حماس" لم تُصدِر أيَّ تصريح رسمي حول الهدف من خلف التحركات الحدودية، واكتفائها بتصريحات عامة حول القضايا الوطنية الكبرى والتفاعل الشعبي في القطاع معها، فإنه يمكن تلخيص بعض الدوافع الرئيسية من خلف تحريك المواجَهات الحدودية في القطاع بالتالي:

1- تنصُّل الاحتلال والوسطاء من "تفاهمات" تخفيف الحصار: التنصُّل التدريجي للاحتلال والوسطاء من "التفاهمات" التي أفضت إلى مجموعة من خطوات تخفيف الحصار مقابل الانحسار التدريجي للمسِيرات، إذ عمد الاحتلال إلى عدم الإيفاء بهذه الالتزامات وإلى التراجع التدريجي عنها، بما في ذلك تنصُّل الوسطاء من الالتزام فيها، وتقليص المنحة القطرية بعد عدة عمليات تغيير على طبيعتها وتدخُّل الاحتلال في أوجُه صرفها، ما ألقى بظلاله على قدرة "حماس" على الإيفاء بالعديد من التزاماتها وخاصةً في تغطية النسبة المعتادة من رواتب موظفيها، واضطرارها إلى تخفيضها وتأخير دفع الرواتب في أكثر من محطة.

2- التكامل مع مشهد الاشتباك والمواجَهة في الضفة: التكامل مع مشهد الاشتباك والمواجَهة في الضفة الغربية، خصوصًا في ضوء تصاعُد الفعل المقاوم في الضفة، وجرائم الاحتلال المستمرة بحق الشعب الفلسطيني، والاقتحامات المتكررة للمخيمات والمدن، إذ تهدف الحركة إلى إيجاد مشهد متكامل لا يُبقي قطاعَ غزة في موقع المتفرج.

3- إرباك حسابات الاحتلال الأمنية: بعد مجموعة كبيرة من التهديدات التي أطلقها قادة الاحتلال، من الواضح أن حركة "حماس" قد قدَّرَت وجود نوايا جدية للاحتلال للبحث عن عملية اغتيال مباغتة لقادة المقاومة في القطاع، وخاصةً الذين يتهمهم الاحتلال بالمسؤولية عن عمليات في

الضفة الغربية، بالتالي فإن التحركات الشعبية على الحدود في هذا الوقت ستساهم في إرباك حسابات الاحتلال وخطَطِه العملياتية التي تحتاج إلى تأمين جنوده بعيدًا عن مرمى نيران المقاومة في حال وجود نية لتنفيذ عملية غادرة تستهدف القطاع، ما سيُضطَّر الاحتلال إلى التراجع عنه بإبقاء جنوده على السياج الحدودي لقمع التحركات الشعبية للشبان الفلسطينيين.

4- الرد على التعدي المستمر على المسجد الأقصى والإجراءات بحق الأسرى:
تزامنت التحركات الشعبية على الحدود مع بداية فترة الأعياد اليهودية، التي تشمل مجموعة من الفعاليات التهويدية والاقتحامات للمسجد لأداء الشعائر التلمودية، ما تطلَّبَ وجودَ رد فعل فلسطيني شكَّلَت التحركاتُ الشبابيةُ عمادَه، إضافةً إلى التضامن مع الأسرى في وجه الإجراءات التي حاول وزير الأمن القومي في حكومة الاحتلال، "إيتمار بن غفير" تمريرها للتضييق عليهم.

خلفيات التوقيت

إضافةً إلى كون التوقيت الذي انطلقت فيه الفعاليات يتزامن مع موسم الأعياد في دولة الاحتلال، وحرص حكومة "نتنياهو" على تمريرها بهدوء، فإنها تزامنت أيضًا مع تفاقم الأزمة الداخلية هناك بسبب مشروع التعديلات القضائية لحكومة "بنيامين نتنياهو"، والأزمة الاقتصادية التي تعصف بدولة الاحتلال وتشمل تراجعًا غير مسبوق لعملة الشيكل مقابل الدولار الأمريكي.

عَكسَت الأزمةُ الداخليةُ نفسَها بوضوح على فاعلية جيش الاحتلال، الذي يعاني من موجة رفض الخدمة في قوات الاحتياط وبعض الوحدات النظامية، فيما يعاني من استنزاف كبير جدًّا جراء استمرار تصاعُد المقاومة في الضفة الغربية التي تؤثر تأثيرًا مباشرًا على قدراته العملياتية.
تتكامل التحركات على حدود قطاع غزة مع تحركات مشابهة منذ أشهر على حدود لبنان مع فلسطين المحتلة، ما أدى إلى زيادة استنفار جيش الاحتلال على الجبهتين، وضاعَفَ من حجم الضغط والاستنزاف للجيش المضطَّر إلى العمل بفعالية كبيرة وبتزامُن على ثلاث جبهات.
من جانب آخَر، يتزامن التوقيت أيضًا مع تصاعُد ومسارَعة كبيرة في
وتيرة التفاوض ما بين الولايات المتحدة والسعودية ودولة الاحتلال للوصول إلى صفقة شاملة تشمل تطبيع العلاقات بين الاحتلال والمملكة، في خطوة يبحث عنها "نتنياهو" لتسجيل نصر في سجل حكومته المأزومة، بالتالي فإن التحركات الحالية على الجبهات المختلفة، وأية مواجهة محتملة، يمكن أن تؤدي إلى تأخير أي اتفاق تطبيع منظور، نتيجة لحرج سينعكس على الموقف السعودي المتردد في الوصول إلى التطبيع العلني مع الاحتلال.

خلاصة

لا يمكن عَدُّ ما جرى على حدود القطاع إعادةَ تفعيلٍ لمسِيرات العودة، لكن يمكن عَدُّه استدعاءً لشكلٍ من أشكال الأدوات الشعبية التي ابتدعتها تلك المسِيرات ونجحت في خَلق عامل ضغط كبير على الاحتلال، واستثمارًا لنقاط مخيمات العودة في هذه الفعاليات.

قدَّرَت حركة "حماس" أن التوقيت الحالي يُعَدُّ الأمثَلَ لممارَسة ضغط شعبي يمثِّل الضغطَ الأقصى ما دون الوصول إلى المواجَهة المباشرة مع الاحتلال، بهدف انتزاع مجموعة من المطالب تُشكِّل "تفاهماتُ" تخفيفِ الحصارِ جزءًا أساسيًّا منها، إذ لوَّحت بورقة مسِيرات العودة دون الذهاب إليها، بل استدعت شكلًا من أشكال الأدوات التي استُعمِلَت في خلال المسيرات وشكَّلَت عاملَ ضغط كبير على الاحتلال.

نجحت "حماس" في الوصول إلى تفاهمات جديدة، أو بالحد الأدنى الحصول على تعهدات باستئناف مسار التفاهمات السابق، دون الحاجة لاستنزاف كبير في قدراتها، أو الذهاب إلى مواجَهة عسكرية تحت عنوان تخفيف الحصار أو تحصيل مكاسب حياتية في قطاع غزة، ما أدى إلى انحسار الفعاليات الحدودية وإيقافها.

استَحدَثَت "حماس" أداةً جديدةً من أدوات الضغط على الاحتلال عبر استدعاء شكلٍ المواجَهة الشعبية و"الأدوات الخشنة" على حدودٍ قطاع غزة، وهو شكلٌ ستَعمل على تفعيله في مراحل متعددة مستقبلًا بهدف ممارَسة ضغطٍ على الاحتلال، دون الاضطرار إلى الدخول في مواجَهة عسكرية معه، وهي أداة ستبقى حاضرةً في العديد من المحطات المستقبلية، خصوصًا في معادلة الضغط لتحسين الأوضاع الحياتية في القطاع.

برنامج الانتاج المعرفي
مركز عروبة للأبحاث والتفكير الاستراتيجي
2023-10-2

www.orouba.ps